جزء من هذا الكتاب :
بتصرف كبير عن محاضرات
الدكتور محمد جميل الغازي
رحمه الله تعالى رحمة واسعة

ثائر سلامة (أبو مالك)

الطاغوت

الطبعة الثانية، مزيدة ومنقحة

١٤٣٣ هـ ٢٠١٢ م

الفهرس

الجزء الأول ٢

الجزء الثاني ١٠

الجزء الثالث ١٨

الجزء الرابع ، صناعة الطواغيت ٢٦

الجزء الخامس ، أمة الشهادة ٣٤

خاتمة ٣٩

الطاغوت

الجزء الأول

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المصطفى الهادي الأمين، القائلِ فيما رواه الترمذي بإسناد ليس بالقوي: بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَخَيَّلَ وَاخْتَالَ وَنَسِيَ الْكَبِيرَ الْمُتَعَالِ بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَجَبَّرَ وَاعْتَدَى وَنَسِيَ الْجَبَّارَ الْأَعْلَى بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ سَهَا وَلَهَا وَنَسِيَ الْمَقَابِرَ وَالْبِلَى بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ عَتَا وَطَغَى وَنَسِيَ الْمُبْتَدَا وَالْمُنْتَهَى بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَخْتِلُ الدُّنْيَا بِالدِّينِ بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَخْتِلُ الدِّينَ بِالشُّبُهَاتِ بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ طَمَعٌ يَقُودُهُ بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ هَوًى يُضِلُّهُ بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ رَغَبٌ يُذِلُّهُ،

أما بعد، فإن بعض الباحثين والمفكرين يرون أن للقرآن الكريم ألفاظه ومصطلحاته الخاصة، التي بهرت العرب العرباء وأعجزت ألسنتها عن النطق بمضاهأته، فهو إنما جاء ليبدد ما ملأ أجواء الأرض من الجاهلية، والصواب أنه زاد على مجرد اختيار مجموعة مصطلحاته بما هو فوق ذلك، فهو إنما جاء بمفاهيم ترقى بالبشر، وانتقى لهذه المفاهيم من المصطلحات والألفاظ ما يبرزها بقدر أهميتها، بحيث لو قلبت لسان العرب بحثا عن لفظة تضعها مكان تلك، مؤدية عين المعنى لعجزت، وهذا ما اصطلحنا عليه بمزج الطاقة العربية بالطاقة الاسلامية، أي بجعل اللغة العربية بما فيها من قدرة على التأثير والتوسع والانتشار الوعاء المعبر عن الاسلام بما فيه من قدرة على التأثير والتوسع والانتشار، وكل لفظة من هذه الألفاظ فيها من الطاقة

اللغوية الشيءَ الرهيبَ الذي يجعلها أهلا لإبـراز مـا فـي هـذا المفهـوم الـذي تؤديه من خصائص، ومن ذلـك أن لفظـة الطـاغوت التـي اسـتعملها القـرآن الكريم ليبرز أكبر عدو للاسلام، وأخطر ما حذر منه الأنبياء جميعهم أقوامهم، لا بل ذلك الطاغوت الذي قدم الحق سبحانه وتعالى الكفـر بـه علـى الايمـان بالله، إذ جعل الايمان بالله مرحلة تالية يسـبقها الكفـر بهـذا الطـاغوت، هـذا الطاغوت الذي هو علة العلل، ومصدر الفسـاد فـي الأرض أفسـد علـى الخلـق دنياهم وآخرتهم، وتسبب بضنك معيشتهم، أقول، هـذا اللفـظ مشـتق مـن الطغيان،

جاء في لسان العرب: طغَى وطَغِيَ يطغَى طَغْيًا وطُغْيَانًـا وطِغْيَانًـا (يـائيٌّ) جاوز القدر والحدَّ. والكافر غلا في الكفر. وفلانٌ أسرف في المعاصي والظلـم.، الطاغوتُ ما عُبِدَ من دون اللّه وكلُّ رأسٍ في الضلالِ طاغوتٌ وقيل : الطاغوتُ الأَصْنامُ، وقيل الشيطانُ، وقيل الكَهَنةُ، وقيل مَرَدةُ أهل الكتاب.

وجمعُ الطاغوتِ طَواغِيتُ وفي الحديث: لا تَحْلِفُوا بآبـائكُمْ ولا بـالطَّواغِي وفي الآخر: ولا بالطَّواغِيتِ، فالطَّوَاغِي جمع طاغيَةٍ وهي ما كانوا يَعْبُدونه من الأَصْنامِ وغَيْرِها ومنه: هذه طَاغِيَةُ دَوْسٍ وخَثْعَمَ أي صَنَمُهم ومَعْبودُهم، قال: ويجـوز أن يكـون أراد بـالطَّواغِي مـن طَغَـى فـي الكُفـر وجـاوَزَ الحَـدَّ، وهُـمْ عُظَماؤهم وكُبَراؤهم، قال: وأما الطَّواغِيتُ فجمع طاغوت وهو الشيطانُ أو مـا يُزَيّن لهم أن يَعْبُدوا من الأَصْنامِ. ويقال: للصَّنَم: طاغوتٌ. إ. هـ.

وفي المحيط: الطَّاغُوتُ: الشَّيْطان.-: رأسُ الضَّلال.-: الطّاغية المعتـدي؛ إنَّه حاكِمٌ طاغوتٌ.-: كلُّ من عُبِدَ من دونِ اللّهِ من الجِـنِّ والإنـس والأصـنام. انتهى

والتاء في طاغوت زائدة للمبالغة، وتقديره طغووت، كزيادتها في رَحَموت وجبروت، وكل زيادة في المبنى غالبا ما تفضي إلى زيادة في المعنى، وقد جَعَلَتِ اللفظَ ثقيلا يدعو للنِّفار منه، فهو يدل على مبالغة في تجاوز الحد في العصيان والتجبر والظلم والطغيان، بلغت حدها الأقصى، وهو من الألفاظ الخاصة بالقرآن الكريم لم يسبق وجوده في العربية من قبل بهذه الصيغة.

قال الرازي في التفسير الكبير: قال المبرد في الطاغوت: الأصوب عندي أنه جمع قال أبو علي الفارسي: وليس الأمر عندنا كذلك، وذلك لأن الطاغوت مصدر كالرغبوت والرهبوت والملكوت، فكما أن هذه الأسماء آحاد كذلك هذا الاسم مفرد وليس بجمع، ومما يدل على أنه مصدر مفرد قوله {أَوْلِيَاؤُهُمُ ٱلطَّاغُوتُ} فأفرد في موضع الجمع، كما يقال: هم رضاهم عدل، قالوا: وهذا اللفظ يقع على الواحد وعلى الجمع، أما في الواحد فكما في قوله تعالى: {يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ} [النساء: ٦٠] وأما في الجمع فكما في قوله تعالى: {وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَاؤُهُمُ ٱلطَّاغُوتُ} انتهى، وهذا يهمنا كثيرا، إذ نتبين معالم هذا الطاغوت وقد اتخذه البعض ربا في العبادة، وغيرهم ربا في التشريع، وغيرهم ربا في التجبر بسكوتهم عليه، وهكذا، فهو اسم جامع لكل أولائكم.

روى البخاري رحمه الله: قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الْخَلَصَةِ وَذُو الْخَلَصَةِ طَاغِيَةُ دَوْسٍ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

وروى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتْبَعْهُ فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ.

ولتحديد مفهوم الطاغوت في القرآن نبدأ بقوله تعالى مخاطبا نبيه: [فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ (١١٣)]، [إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ] الأحقاف (١٣)

عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ قَالَ قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ. رواه مسلم.

وشرحه النووي رحمه الله قال: قَالَ الْقَاضِي عِيَاض رَحِمَهُ اللَّه: هَذَا مِنْ جَوَامِع كَلِمه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُطَابِق لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّه ثُمَّ اِسْتَقَامُوا} أَيْ وَحَّدُوا اللَّه، وَآمَنُوا بِهِ، ثُمَّ اِسْتَقَامُوا فَلَمْ يَحِيدُوا عَنْ التَّوْحِيد، وَالْتَزَمُوا طَاعَته سُبْحَانه وَتَعَالَى إِلَى أَنْ تُوُفُّوا عَلَى ذَلِكَ. وَعَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ أَكْثَر الْمُفَسِّرِينَ مِنْ الصَّحَابَة فَمَنْ بَعْدهمْ وَهُوَ مَعْنَى الْحَدِيث إِنْ شَاءَ اللَّه تَعَالَى. هَذَا آخِر كَلَام الْقَاضِي رَحِمَهُ اللَّه. وَقَالَ اِبْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا فِي قَوْل اللَّه تَعَالَى: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْت} مَا نَزَلَتْ عَلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمِيع الْقُرْآن آيَة أَشَدّ وَلَا أَشَقّ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْآيَة وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ حِين قَالُوا: قَدْ أَسْرَعَ إِلَيْك الشَّيْبُ فَقَالَ: " شَيَّبَتْنِي هُود وَأَخَوَاتهَا " قَالَ الْأُسْتَاذ أَبُو الْقَاسِم الْقُشَيْرِيُّ فِي رِسَالَته:

الِاسْتِقَامَة دَرجَة بِهَا كَمَالُ الْأُمُور وَتَمَامها، وَبِوُجُودِهَا حُصُول الْخَيْرَات وَنِظَامها، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَقِيمًا فِي حَالَته ضَاعَ سَعْيه وَخَابَ جَهْده.

قَالَ: وَقِيلَ: الِاسْتِقَامَة لَا يُطِيقهَا إِلَّا الْأَكَابِر لِأَنَّهَا الْخُرُوج عَنْ الْمَعْهُودَات وَمُفَارَقَة الرُّسُوم وَالْعَادَات، وَالْقِيَام بَيْن يَدِي اللَّه تَعَالَى عَلَى حَقِيقَة الصِّدْق. وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اِسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا".وَاَللَّه أَعْلَم . إ.هـ.

فالطغيان ضد الاستقامة ،، والخروج عن الفكرة أو الطريقة التي أنزلها رب العزة سبحانه،، لذا قال: [فاستقم كما أمرت ومن تاب معك،،] وأي خروج على هذه الكيفية يدخل المرء في الطغيان!!

فإن اشتد في الطغيان وأسرف فيه دخل في وصف الطاغوت!

هذه الآية من سورة هود شيبت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وهو الأعلم بخطورة مفهوم الطاغوت،، ذلك المفهوم الذي صاغته ٣٩ آية في كتاب اللّه بينت جوانبه وأشكاله وأنواعه، بما يتيح لنا التفرس في معانيها لنجدها تشرح لنا طبيعة الطاغية أو الطاغوت، عقيدته: ما هي؟ أسلوبه في التفكير، نفسيته، نوازعه وشهواته وانفعالاته، من أجل أي شيء يقاتل، من الذي يصنع الطاغية، كيف يفعل إذا حكَمَ، وكيف يتصرف إذا حُكِّمَ.

ثم من هم حزب الطاغوت ومن هم جماعته الذين ينتسب إليهم ويستكثر بهم، كل هذا تحدثت عنه الآيات الكريمات لنجد أنفسنا أمام الآية ٣٦ من سورة النحل: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا اللّه واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى اللّه ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين}.

لنرى أن رسالة كل المرسلين إنما كانت من أجل حرب الطاغوت، وأن اللّه تعالى إنما أرسل الرسل بهذا وأنزل الكتب بهذا، وافترق الناس صعيدان

بناء على موقفهم من هذا الطاغوت، فريقا هدى فكان أن كفروا بالطاغوت واجتنبوا الطاغوت ولم يعبدوها ومن ثم آمنوا بالله تعالى، وفريقا حقت عليهم الضلالة أولئكم حزب الطاغوت.

وبنظرة سريعة على الآيات التي جلت مفهوم الطاغوت في القرآن الكريم نجدها ثماني آيات في خمس سور، جعلت الطاغوت مما يؤمن به ويكفر به في اثنتين: {لا إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَى لا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } البقرة ٢٥٦، {ألم تَرَ الّذِينَ أُوتُوا نَصِيبا مِنَ الكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ وَالطّاغُوتِ وَيَقُولُونَ للذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أهْدَى مِنَ الّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً أُولَئِكَ الّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرا} النساء ٥١.

وقرنته بمفهوم العبادة في ثلاثة مواضع: {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرّ مِنْ ذلكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعنَهُ اللَّهُ وغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ القِرَدَةَ والخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكانا وأضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} المائدة ٦٠، {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي ٱلارْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ} النحل ٣٦، {وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا ٱلطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى ٱللَّهِ لَهمُ ٱلْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئك ٱلَّذِينَ هَدَاهُمُ ٱللَّهُ وَأُولئك هُمْ أُوْلُوا ٱلأَلْبَابِ} الزمر ١٨.

وأبرز مسألة التحاكم إليه جاعلا الايمان والكفر على محك الرغبة، مجرد الرغبة أو الإرادة بالاحتكام إليه، فمن أراد التحاكم إليه فإيمانه مجرد زعم وهو منافق، فقال تبارك وتعالى في النساء ٦٠-٦١: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ

يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوا إِلَى مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا}

وبين في آية النساء ٧٦ أنه يقاتَلُ في سبيله، فأي قتال في غير سبيل اللّه كالقتال في سبيل الوطن أو القوم أو الذِّكر أو الحمية أو الجاهلية قتال في سبيل الطاغوت، قال تعالى {ٱلَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاءَ ٱلشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً }

وقد ميزت ثلاث آيات بين حزب المؤمنين وحزب الشيطان على أساس الموقف من الطاغوت: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّور وَالَّذِينَ كَفرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّور إِلَى الظُّلُمَاتِ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون} البقرة ٢٥٧، {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا اللّه واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى اللّه ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين.} ٣٦ النحل، {ٱلَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاءَ ٱلشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً } النساء ٧٦.

ولعل أخطر ما في الموضوع أن الحق سبحانه وتعالى رتب على مجرد الهم بالتحاكم إلى الطاغوت علامة على أن الايمان مجرد زعم، ونحن في هذا الزمان الذي تعدى فيه أكثر الخلق مرحلة الهم ليدخلوا في دائرة التنفيذ العملي، فتحاكموا فعلا إلى الطاغوت، وصنعوا الطواغيت بأنفسهم، ممثلين بحكامهم ومتشرعيهم، وانتخبوا من يشرع في مجالسهم النيابية قوانين ما

أنزل الله بها من سلطان، وبذا يكونون قد صنعوا الطواغيت بأنفسهم يحلون عليهم الحرام ويحرمون عليهم الحلال، ولم يغيروا عليهم بل رضوا وتابعوا، وكذلك استفحلت قيم الجاهلية في أوساط المسلمين كالوطنيات وأصبح القتال قتالا في سبيل الوطن، ومن ثم تغيرت المعايير لدى البعض لتصبح المصلحة الوطنية، وما إلى ذلك من أصنام حلت مكان هبل واللات طواغيت تعبد من دون الله، لذا برزت أهمية دراسة فكر الطاغوت وواقعه وأحابيله وطرائقه وسبله، ليتقيها المسلمون فلا ينقلب واحدهم كالذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا،

فإلى تدارس الآيات الكريمات التي أبرزت ما يتعلق بهذا الوحش المخيف ندعوكم في الحلقات القادمة بحول الله تعالى.

الطاغوت

الجزء الثاني

الحمد للّه وسلام على مصطفاه القائل قل آمنت باللّه فاستقم،

وبعد، فقد كان أول ذكر للطاغوت في كتاب اللّه جل وعلا في البقرة بعد آية الكرسي مباشرة، وآية الكرسي تسمى سنام القرآن، لا لعلوها على غيرها من الآيات بيانا، إذ كتاب اللّه تعالى كله ذروة بيانا، ما انخفض من شاهق عليائه موضع حرف قط، ولكنها سنام القرآن بموضوعها الذي تناولته، وهو حديثها عن اللّه جل وعلا بأسمائه وصفاته، وهي آية غاية في العجب بيانا، تكونت من عشر جمل مفيدة كل جملة منها حددت مادتها بدقة، قال الحق سبحانه:

{اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ

الْحَيُّ الْقَيُّومُ

لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ

لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ

مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ

وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ

وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ

وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا

وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}

(البقرة: ٢٥٥).

فهذه عشر جمل تناولت علم العقيدة، بشكل مذهل، ولا يوجد في القرآن آية أخرى تشاركها الخاصية البيانية هذه إلا آية واحدة وهي الآية الخامسة عشرة من سورة الشورى:

{فَلِذَلِكَ فَادْعُ

وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ

وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ

وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ

وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ

اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ

لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ

لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ

اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا

وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ}

(الشورى: ١٥).

فهي كذلك تتكون من عشر جمل مفيدة

ولو تأملنا في هاتين الآيتين الكريمتين لوجدنا موضوعات آية الكرسي:

اللّه: لا معبود بحق إلا هو، الحي: الذي له الحياة الدائمة، والبقاء الذي لا أوّل له يحدّ، ولا آخر له يُؤْمَد، حيّ بحياة هي له صفة، {القَيُّومُ}: قيم كل شيء، يكلؤه ويرزقه ويحفظه، لا يأخذه نعاس ولا نوم، إشارة إلى صفاته بأنه

ليس كمثله شيء، فلا ينفك يدبر الأمر في السموات والأرض، ولا يتغير من حال إلى حال، فهو ليس بمحتاج كما الخلائق، مالك جميع ما في السموات والأرض فالكل عبيده لا يملكون من أمرهم شيئا، فجميع ما في السموات والأرض ملكي وخلقي، فلا ينبغي أن يعبد أحد من خلقي غيري وأنا مالكه، لأنه لا ينبغي للعبد أن يعبد غير مالكه، ولا يطيع سوى مولاه، فالمعاني المتولدة من المفاهيم التي تقررها هذه الآية شاملة أساس العقيدة الاسلامية كلها، متضمنة معاني العبودية ومنها الطاعة للّه، وإفراده بالتشريع فكل من في السموات والأرض عبيده عليهم طاعته فيما يأمر.

فالآية تزيد في موضوعاتها عن ذلك لتشمل: توحيد اللّه، حياته وقيوميته تعالى، ملكوته، الشفاعة، العلم، والقدرة والعظمة والعلو وعموما صفاته تقدست أسماؤه، فهي تتناول العقيدة في اللّه، وواجب العبيد تجاه من لا يملكون من أمرهم شيئا تجاهه، فلا أغالي إن قلت أنها الاسلام كله.

وأما آية الشورى فموضوعاتها: فرضية الدعوة إلى الاسلام، وفرض الاستقامة على المنهج فكرة وطريقة، كما هو إذ قال عز ثناؤه: {واستقم كما أمرت}، أي بعين الكيفية والتي جاءت من الوحي فلا يجوز إدخال أمر عليها ما لم يصدر هو أو اصله عن الوحي، لذا قال: {كما أمرت}، وزاد عليها نهيه عن اتباع أهواء من في الارض كيلا يضلوه عن سبيل اللّه، ومن ثم أمره بالايمان بالكتاب ومافيه من أحكام، وأمره بالحكم بناء على ما في الكتاب ليتحقق العدل، ثم أشارت إلى الحساب على الأعمال، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، وفاصلَت بين الاسلام وبين الجاهلية: لا حجة بيننا وبينكم اللّه يجمع بيننا وإليه المصير.

أي شرح عظيم للاسلام هذا!

فهاتان الآيتان هما الاسلام كله، والخروج على ما فيهما طغيان، فآية الشورى أمرت بالاستقامة على الطريقة، والطغيان ضد الاستقامة، وآية الكرسي وطأت لما بعدها وهما الآيتين اللتين تتحدثان عن الطاغوت وبينت أن الأمر للّه تعالى وعلينا طاعته.

المهم الذي يجدر الانتباه إليه هنا: عظمة رب العالمين التي بينتها آية الكرسي، بل جلتها هذه الآية، فإنك تستشعر وَجيْبَها في كل حرف من آية الكرسي، رب السموات والأرض ذلك الذي لا يؤوده حفظهما، وكل ما فيهما لا يعزب مثقال ذرة عنه، هذا الاله العظيم هو المعبود بحق، ولا ينبغي لأحد أن يتخذ ربا سواه، هذا الإله العظيم، أنزل هذا الدين بيِّنا رشدا، والحديث هنا عن العقيدة، أظهر أهم سمة لها وهي أنها عقلية، فلا إكراه في الدين، قد تبين الرشد من الغي، فقد خاطبت العقل وبينت له الرشد من الغي، وكل خروج عن هذا الرشد دخول في الغي ولا ثالث لهما، فليس ثمة إلا الايمان والكفر، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن باللّه فقد استمسك بالعروة الوثقى.

هنا مربط الفرس كما يقال، فالأمر العظيم هو مفاصلة الجاهلية، كفر بالطاغوت يسبق الايمان باللّه تعالى، لا بد من التخلي عن كل رصيد الجاهلية المختزن في العقول التي تبينت الرشد البين في الاسلام، وأصبحت في معادلة النور مقابل الظلمات، فلا ينبغي لها أن ترتع في حمى الجاهلية بعد أبدا، بل عليها أن تتخلص من كل ذرة تنتمي لمنظومة الكفر لتدخل بعد في نور الايمان باللّه تعالى، والتركيز هنا أنه ليس ثمة حلٌ وسطٌ، ولا مكان وسط بين الجاهلية \ الكفر، وبين الاسلام \ الايمان.

إن أولئك الذين ما زالوا يتشبثون بباطل الجاهلية، الرافعين لشعاراتها: الوحدة الوطنية، والحريات، وما إلى ذلك، ومن يساومون على الاسلام

ليأخذوه بالتقسيط، أولئك الراضين بمعايشة الاسلام مع الكفر تحت سلطان الكفر، أو أولئك الذين يضعون الاسلام في موقف يتساوى فيه أو يهبط عن مستوى الكفر فيما يسمى بحوار الأديان، ومن شاكلهم في الصنيع القبيح، إنما لم يستشعروا عظمة اللّه، فارتضوا معه بمعبودات غيره، وما زالت بهم جاهلية عليهم أن يكفروا بها، ولك أن تتوقف متأملا حدة هذا الموقف تجاه الجاهلية: الطاغوت: فقد أمر تعالى العظيم بالكفر بالطاغوت كمقدمة للدخول في صف الايمان، وهذا هو السبيل الوحيد للاستمساك بالعروة الوثقى، طوق النجاة الذي يمده رب العالمين، حبلا متينا، حبل اللّه تعالى، في طرفة عقدة من أمسك بها أمن أن يفلت من هذا الحبل الذي من أفلت من الاستمساك به هوى في النار.

إنه وإن كان الدين لا يحتمل أن يكون فيه إكراه، إلا أن الخضوع لأحكام اللّه مسألة لا جدال في أن فرضها بالعقل والاقناع أو بالقوة عبر الجهاد، من المسلمات التي تعلم من الدين بالضرورة، فالرسول صلى اللّه عليه وسلم يعرض الاسلام على من يغزوهم أو يقاتلهم، أو الجزية عن يد وهم صاغرون خاضعون لأحكام الاسلام، أو القتال حتى يخضعوا لحكم الاسلام، ذلك الحكم الوحيد الضامن لتحقيق العدل في الأرض، والذي جعل طريقة حمله للدعوة، أي الاسلام: العيش وفقا لطراز الاسلام في العيش، ليلمس القاصي والداني عظمة دين اللّه العظيم، فيدخلوا في دين اللّه أفواجا.

{قد تبين الرشد من الغي}: ومعنى { تَّبَيَّنَ } انفصل وامتاز، فكان المراد أنه حصلت البينونة بين الرشد والغي بسبب قوة الدلائل وتأكيد البراهين، أي تميز الحق من الباطل/ والإيمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الحجج والآيات الدالة، إنه لم يبق بعد إيضاح هذه الدلائل للكافر عذر في

الإقامة على الكفر إلا أن يقسر على الإيمان ويجبر عليه، فكأن الآية تقول: بعد كل هذا الوضوح والبيان في الدين، لم يبق على صاحب اللب إلا أن يدخله، إذ لا يتصور قهره على الدخول فيه ولا يحتاج لذلك لشدة ما فيه من الوضوح، فما بال أقوام من المسلمين يخلطون هذا الحق الأبلج الناصع البياض بركام الجهل والباطل، فيحتاجون إلى أن يقدموا الاسلام بثوب غيره، فيستعيرون من الديمقراطية أشياء ومن الاشتراكية أشياء، بل حتى ومنلدن عباد البقر أشياء، وكأن هذا الحق الأبلج بحاجة لهذه الهرطقات الفكرية ليتقبله الناس، مع أن رب العالمين سبحانه يبين أنه مع كل هذا الوضوح الذي معه قد تبين واستوضح الرشد من الغي، لم يعد أمام أصحاب العقول مفر من الإقرار به، إلا أن يكرهوا عليه وما هم ساعتها بأصحاب عقول.

فإذا ما خلط هذا الحق وهذا الرشد بالغي ليتلمع عند أصحاب الغي فكيف تظهر لهم نصاعته وأنّى يميزوه عن كل ما لديهم من خرافات وأوهام؟ وأين هم من قوله تعالى:

{فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ}.

والعجيب أن الأمر بالتعامل مع الطاغوت جاء على أساس الكفر به، فالطاغوت إذن دين يكفر به ويؤمن به، فقد قال الحق سبحانه: {أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَٱلطَّاغُوتِ} وعلامة الايمان به والكفر به الاتباع، والخضوع لأحكامه المتعلقة بالسلوك في الحياة، فمحور آية الكرسي عبادة الله، فهو وحده المستحق للعبادة لعظمته سبحانه، وأنزل هذا الدين ليخضع له الناس ويؤمنوا به ويحتكموا إليه، فمن يستمسك بالعروة الوثقى هو من يكفر بالطاغوت، فهل يكفر بالطاغوت من يتخذه

مشرعا من دون اللّه؟ أي يستنبط قوانينه من القوانين الفرنسية والانجليزية؟ أم هل يكفر بالطاغوت من يخلط الحق الأبلج بالباطل الزائف فيستجدي من ديكارت وروسو وفولتير وآدم سميث وماركس أفكارهم ووجهة نظرهم في الحياة؟

نعم إن الديمقراطية دين شأنها شأن الاشتراكية، وحتى لو كانت جزءا من دين العلمانية، فإن الموقف الواجب اتخاذه حيالها هو الكفر بها، فالحق الذي لدينا أبلج ناصع منير لا يحتاج لهذه الظلمات أبدا.

ولقد عد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم اتخاذ مشرعين من دون اللّه عبادة لهؤلاء المتشرعين، في الحديث الذي رواه عدي رضي اللّه عنه في تفسيره صلى اللّه عليه وسلم لقوله تعالى: اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون اللّه.

على أن الموضوع أخطر شأنا من أن يمر عليه مرور الكرام، فهو متصل بحبل اللّه المتين الذي به النجاة من النار: فهي عروة وثقى لا انفصام لها، وعرى الجاهلية كلها تنفصم عروة عروة. والانفصام: الانكسار من غير بينونة. قال الجوهري: فصم الشيء كسره من غير أن يبين. وأما القصم بالقاف، فهو الكسر مع البينونة، وفسر صاحب الكشاف الانفصام بالانقطاع، مع أنه إذا لم يكن لها انفصام، فأن لا يكون لها انقطاع أولى.

وأما قوله: {ويؤمن باللّه} ففيه دلالة على أن على الكافر أن يتوب عن الكفر أولا قبل أن يدخل في الاسلام، وليس أعظم على الانسان من ذنوبه من الكفر، والتوبة تستدعي الندم والعزم على عدم العودة لذلك الذنب وكذلك الكفر بالطاغوت، قال تعالى: {إلا مَن تَابَ وَءامَنَ وَعَمِلَ صَـلِحًا} وقال

عز وجل {إلا ٱلَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمِ} فقد قدم التوبة على الايمان.

والعرى موضع التعليق فكأن المؤمن متعلق بأمر الله، إن ترك الاستمساك به انفصم أمره ووقع ليردى في النار.

روى مسلم رضي الله عنه عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ ، قَالَ: ... قَالَ: سُبْحَانَ اللّهِ مَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أنْ يَقُولَ مَا لاَ يَعْلَمُ. وَسَأُحَدِّثُكَ لِمَ ذَاكَ؟. رَأَيْتُ رُؤْيَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللّهِ . فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ. رَأَيْتُنِي فِي رَوْضَةٍ ـ ذَكَرَ سَعَتَهَا وَعُشْبَهَا وَخُضْرَتَهَا ـ وَوَسْطَ الرَّوْضَةِ عَمُودٌ مِنْ حَدِيدٍ. أَسْفَلُهُ فِي الأَرْضِ وَأَعْلاَهُ فِي السَّمَاءِ. فِي أَعْلاَهُ عُرْوَةٌ. فَقِيلَ لِيَ: ارْقَهْ. فَقُلْتُ لَهُ: لاَ أَسْتَطِيعُ. فَجَاءَنِي مِنْصَفٌ قَالَ ابْنُ عَوْنٍ: وَالْمِنْصَفُ الْخَادِمُ فَقَالَ بِثِيَابِي مِنْ خَلْفِي ـ وَصَفَ أَنَّهُ رَفَعَهُ مِنْ خَلْفِهِ بِيَدِهِ ـ فَرَقِيتُ حَتَّى كُنْتُ فِي أَعْلَى الْعَمُودِ. فَأَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ. فَقِيلَ لِيَ: اسْتَمْسِكْ.

فَلَقَدِ اسْتَيْقَظْتُ وَإِنَّهَا لَفِي يَدِي. فَقَصَصْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ فَقَالَ: «تِلْكَ الرَّوْضَةُ الإِسْلاَمُ. وَذلِكَ الْعَمُودُ عَمُودُ الإِسْلاَمِ. وَتِلْكَ الْعُرْوَةُ عُرْوَةُ الْوُثْقَى. وَأَنْتَ عَلَى الإِسْلاَمِ حَتَّى تَمُوتَ». قَالَ: وَالرَّجُلُ عَبْدُ اللّهِ بْنُ سَلاَمٍ.

فإلى الاستمساك بعروة الله الوثقى ندعوكم وذلك لا يكون إلا بالكفر بالطاغوت، ومفاصلة الجاهلية مفاصلة لا لقاء فيها في مناطق وسط.

يتبع إن شاء الله تعالى

الطاغوت

الجزء الثالث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المجتبى الهادي الأمين، وبعد، فلقد تبين لنا حرص الاسلام على الكفر بالطاغوت، قبل الدخول في الاسلام، حتى إن الصحابي ليدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تخلى عن كل رصيده من الفكر، نابذا كل أحكام الجاهلية طالبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يملأ وعاءه نورا وحكمة، فالتخلية قبل التحلية.

فالجاهلية اقترنت لديهم بأنها شر عظيم، حكم طاغوت أمروا أن يكفروا به، قال تعالى: {وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)} المائدة، فحكم الاسلام هو ما يقابل حكم الطاغوت، {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا ٦٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (٦١)} النساء، والجاهلية مَثَّلَتْ لديهم بمنظومة قيمها أمرا يفرون منه فرار المؤمن من النار أن يُلقى فيها، ولعل الدافع الأهم لكتابة هذا الموضوع هو هذا الخلط بين قيم الاسلام وقيم الجاهلية وارتضاء طائفة من

المسلمين أن يحتكموا إلى الجاهلية وأن يجعلوها مرجعيتهم التي يقدموها أحيانا بل غالبا على القرآن، فلنر كيف فر الصحابة رضوان الله عليهم من كل قيمة جاءت منلدن الجاهلية الأولى، علنا نتعظ فنفر من قيم جاهلية القرن الخامس عشر الهجري.

عن زيد بن أسلم، قال: مرّ شاس بن قيس، وكان شيخا قد عسا في الجاهلية، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم، على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدّثون فيه. فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ بني قِيـْلَةَ بهذه البلاد، والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم لها من قرار فأمر فتى شابا من اليهود وكان معه، فقال: اعمد إليهم، فاجلس معهم وذكرهم يوم بُعاث وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار. وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج. ففعل، فتكلم القوم عند ذلك، فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن الحرث من الأوس وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج، فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم والله رددناها الآن جَذَعَةً. وغضب الفريقان، وقالوا: قد فعلنا السلاحَ السلاحَ موعدكم الظاهرة ـ والظاهرة: الحَرَّة ـ فخرجوا إليها وتحاور الناس، فانضمت الأوس بعضها إلى بعض، والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه

حتـى جاءهم، فقال: «يا مَعشرَ الـمسلِـمينَ اللَّهَ اللَّهَ، أبـدَعْوَى الـجاهلـيَّةِ وأنَـا بـينَ أظهرُكمْ بعدَ إذْ هداكمُ اللَّهُ إلـى الإسلامِ، وأكرَمكُمْ بهِ، وقطعَ بهِ عَـنْكُمْ أمْرَ الـجاهلـيَّةِ، واستنقذكُمْ بهِ مِنَ الكفر وألَّـفَ بـهِ بَـينَكُمْ ترْجعـونَ إلــى مـا كُنْتـمْ علـيهِ كُفَّـارا» فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان، وكيد مـن عـدوّهم، فألقوا السلاح من أيديهم، وبكوا، وعانق الرجال من الأوس والـخزرج بعضهم بعضا. ثم انصرفوا مع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم سامعين مطيعين، قد أطفأ اللّه عنهم كيد عدوّ اللّه شاس بن قـيس وما صنع فأنزل اللّه فــي شـاس بن قـيس وما صنع {ياأهلَ الكِتَابِ لِـمَ تَكْفُرُونَ بآياتِ اللَّهِ واللَّهُ شَـهِيدٌ علــى ما تَعْمَلُونَ يا أهْلَ الكِتابِ لِـمَ تَـصُـدُّونَ عَـنْ سَبِـيـلِ اللَّـهِ مَـنْ آمَـنَ تَبْغُونَهـا عِوَجا} ... الآية وأنزل اللّه عزّ وجلّ فـي أوس بن قـيظي وجبـار بن صخر ومـن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا مـما أدخـل علـيهم شـاس بن قـيس من أمر الـجاهلـية {ياأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ تُطِيعُوا فَرِيقا مِنَ الَّـذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إيـمانِكُمْ كافِرِينَ} إلـى قولـه: {أُولَئِـكَ لَهُـمْ عَـذَابٌ عَظِيـمٌ} .

الطبري في تفسيره.

فأول أمور الجاهلية التي ركن إليها بعـض المسـلمين اليـوم مـا نسـميه الوطنية والقومية البغيضة، وإن أقل نظرة إلى واقـع المسـلمين اليـوم ترينـا بجلاءِ كيف انقلب المسلمون بعد هدم خلافتهم قوميات تتنـازع فيمـا بينهـا، فهذا يتعصب للعرب وذاك للترك والآخر للأكـراد وغيـرهم للفـرس، فبعـد أن هدانا اللّه للاسلام، وألف بين قلوبنا وأصبح أكابر علمـاءِ المسـلمين مـن غيـر العرب، لم يشعر أي منهم يوما بتفرقة ولم ينحز يوما بعضهم لقومـه ليتـآمر معهم علـى إخوانـه المسـلمين، فمـا زال بنـا شـاس بـن قـيس هـذا الزمـان:

تشيرشل، حتى مزق مع حلفائه من الغرب الكفار دولة المسلمين وجمعهم عصبيات يتنافخون من أجل قوميات لا تسمن ولا تغني من جوع.

ومن ثم كانت النكاية الأكبر، أن تفرق جمع المسلمين إلى أشد من ذلك، فغرقنا في جاهلية أشد من الجاهلية الأولى، فالأردن للأردنيين، ومصر أولا، وما يحدث في بيت المقدس أو العراق شأن داخلي، وكأنه يحدث في المريخ بالنسبة لجيرانهم من المسلمين ممن يعيش في تركيا أو الحجاز ونجد أو الشام ومصر أو إيران.

ولقد أوغل بعض المسلمين في أمر الجاهلية وولغوا فيها حتى رأينا بدعة ما أنزل الله بها من سلطان اسمها الوحدة الوطنية، والمصلحة الوطنية، والحوار الوطني، يتساوى فيه المسلم والحركة الاسلامية مع البعثي أو العلماني، وحتى لو وجدت شرذمة قليلون لا تتعدى أصابع الكف الواحدة من الملحدين لدخلوا في الحوار جنبا إلى جنب مع المسلمين أندادا أكفاء، واتخذ الجميع مرجعيتهم العليا في أحكامهم إما دساتير كفر ما اشتمت رائحة الاسلام من بعيد ولا من قريب، أو علمانية ادعوا بأنها المظلة التي تجمعهم، ورأيت المسلم منهم أو الحركة الاسلامية ترجؤ الحديث عن أي حل يتعلق بالاسلام، بحجة الوحدة الوطنية، فكأني بها أصبحت إلها من دون الله يعبد،

جاء في البداية والنهاية: قال ابن إسحاق: ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل عليه السلام، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم، حين ضاقت عليهم، والتمسوا الفُسَحَ في البلاد، إلاّ حَمَل معه حجراً من حجارة الحَرَم تعظيماً للحرم، فحيث ما نزلوا وضعوه فطافوا به

كَطَوافهم بالكعبة، حتى سَلَخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة، وأعجبهم حتى خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه. انتهى

فهؤلاء القوم مثلهم كمثل هؤلاء، ابتدأ أمرهم بتعظيم ما لم ينزل اللّه تعالى به من سلطان وما زالوا يغرقون في جاهليتهم حتى نسوا حكم اللّه، وغرقوا في مستنقع الواقع من وحل إلى وحل أشد منه، وأنى لمن كان هذا حاله أن يبصر نور الاسلام ويهتدي بهديه إلا أن يتداركه اللّه تعالى برحمته.

أجل لم ينبذوا الطاغوت ولم يفصلوا بين الجاهلية والاسلام فغرقوا وأغرقوا معهم ظلما وعدوانا نساء وأطفالا وشيوخا لا يستطيعون حيلة من ضعفهم فزادوا الواقع الفاسد فسادا.

أين هم من حديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «كل شيء من أمر الجاهلية فهو تحت قدمي » جاء في تفسير البغوي: فقال النبيّ في حَجّة الوداع في خطبته يوم عرفة: «ألا كلُّ شيءٍ من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوعة كلُّها، وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب، فإنها موضوعةٌ كلُّها».

جاء في عون المعبود: قال النووي: معناه متأكدة التحريم شديدته. وفي هذا دليل لضرب الأمثال وإلحاق النظير بالنظير قياساً (ألا): للتنبيه (إن كل شيء): أي فعله أحدكم (من أمر الجاهلية): أي قبل الإسلام (تحت قدمي): بالتثنية (موضوع): أي كالشيء الموضوع تحت القدم وهو مجاز عن إبطاله، والمعنى عفوت عن كل شيء فعله رجل قبل الإسلام حتى صار كالشيء الموضوع تحت القدم.

قال النووي: في هذه الجملة إبطال أفعال الجاهلية وبيوعها التي لم يتصل بها قبض وأنه لا قصاص في قتلها وأن الإمام وغيره ممن يأمر بالمعروف أو ينهي عن المنكر ينبغي أن يبدأ بنفسه وأهله فهو أقرب إلى قبول قوله وإلى طيب نفس من قرب عهده بالإسلام (ودماء الجاهلية موضوعة): أي متروكة لا قصاص ولا دية ولا كفارة، أعادها للاهتمام أو ليبني عليه ما بعده من الكلام (وأول دم أضعه): أي أضعه وأتركه (دماؤنا) أي المستحقة لنا أهل الإسلام أو دماء أقاربنا،. انتهى.

ولقد حرص الاسلام على تصفية النفوس مما يعلق بها من أوشاب الجاهلية ورد في سنن ابن ماجة: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ بِبُوَانَةَ. فَقَالَ: «فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ؟» قَالَ: لاَ. قَالَ : «أَوْفِ بِنَذْرِكَ». فهو يتأكد عليه السلام أنه لم يفعل فعلته وفي نفسه شيء من أمر الجاهلية، فحتى الأمر الذي ظاهره خير إن كان من أمر الجاهلية فإلى حيث ألقت أم خثعم.

إنني إذ أقول أن القوم الذين انقادت لهم أعناق بعض المسلمين وما زالت بهم من الجاهلية الأولى أحكام وأحكام، فإنهم يوردون المسلمين موارد الهلاك فإنني آخذ ذلك من فم سيدي ابن الخطاب رضي الله عنه: ففي مصنف ابن أبي شيبة: عن المستظل بن حصين قال خطبنا عمر بن الخطاب فقال قد علمت ورب الكعبة متى تهلك العرب، فقام إليه رجل من المسلمين فقال: متى يهلكون يا أمير المؤمنين؟ قال: حين يسوس أمرهم من لم يعالج أمر الجاهلية ولم يصحب الرسول صلى الله عليه وسلم. ورواه في جامع المسانيد والمراسيل،

وفي جامع المسانيد والمراسيل عن مُعَاذِ بن جَبَلٍ رضـيَ اللَّـهُ عنـهُ قَـالَ: «قَالَ لِي رسولُ اللَّهِ: يَـا مُعَاذُ إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ، ... إلى أن قال: وَإِذَا أَسَرُّوا عَلَيْكَ مِنَ الْجَهَالَةِ فَبَـيِّنْ لَهُـمْ حَتَّـى يَعْرِفُـوا، وَلاَ تُحَاقِـدْهُمْ، وَأَمِـتْ أَمْـرَ الْجَاهِلِيَّـةِ إِلاَّ مَـا حَسَّـنَهُ الإِسْلاَمُ، وَاعْـرِضِ الأَخْـلاَقَ عَلَـى أَخْـلاَقِ الإِسْلاَمِ، وَلاَ تَعْرِضْهَا عَلَى شَيْءٍ مِنَ الأُمُورِ» فالميزان الذي على الحاكم أن يعرض الأمور عليه هو ميزان الاسلام لا ميزان الوحدة الوطنية ولا منظمات علمانيـة باعـت البلاد والعباد لأعداء الله، وماتت وآن لها أن تدفن في غير مقابر المسلمين.

وفي كتاب مكارم الأخلاق: أخبرني أبو عمار رجل من بني زهـرة قـال: مـر ابن الزبير بناس من قريش مجتمعين في مجلس فقـال: مـا تـذاكرون؟ قـالوا أمر الجاهلية قال: دعوه فإن هذا الشيء هدمه الله.

وفي معجم الطبراني الكبير وفي غيره: عن المقداد بن الأسود قـال قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب الله ورسوله صادقا غير كاذب ولقي المؤمنين فأحبهم وكان أمر الجاهلية عنده كمنزلة نار ألقي فيهـا فقـد طعـم طعم الإيمان أو قال فقد بلغ ذروة الإيمان.

وفي الإصابة في تمييز الصـحابة: خبـر جنـادة بـن عـوف بـن أميـة: قـال السهيلي وجدت له خبرا يدل على أنه أسلم فإنـه حضـر الحـج فـي زمـن عمـر فرأى الناس يزدحمون على الحجر الأسـود فقـال أيهـا النـاس إنـي قـد أجرتـه منكم فخفقه عمر بالدرة وقال ويحك إن الله قد أبطل أمر الجاهلية.

وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة: ونهى عمر بـن الخطـاب رضـي الله عنه عن إنشاد شيء من مناقضة الأنصار ومشـركي قـريش، وقـال: فـي ذلـك شتم الحي والميت، وتجديد الضغائن. وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الإسلام.

وفي سنن البيهقي: عن النعمانِ بنِ بشيرٍ أنَّ رسولَ اللّه خَرَجَ مستعجلاً يَجُرُّ رداءَهُ حتَّى أتَى المسجِدَ وقدِ انْكَسَفَتِ الشمسُ، فصلَّى حتَّى انْجَلَتْ، وقال: «إنَّ أهْلَ الجاهليةِ يقولونَ: إنَّ الشمسَ والقمرَ لا يَنْخَسِفَانِ إلا لموتِ عظيمٍ من عظماءِ الأرضِ، وإنَّ الشمسَ والقمرَ لا يَنْخَسِفَانِ لموتِ أحَدٍ، ولكنَّهُمَا خلقانِ من خَلْقِ اللّه عَزَّ وَجَلَّ، ويُحْدِثُ اللّه في خَلْقِهِ ما يشاءُ، فأيُّهُمَا انْخَسَفَ فَصَلُّوا حتَّى يَنْجَلِيَ، أو يُحْدَثُ اللّه عَزَّ وَجَلَّ أمْراً».

فكل مفهوم من مفاهيم الجاهلية جاء الاسلام ونقضه وجعله تحت الأقدام فلا ترجعن بعد أن هداكم اللّه إلى حمى الجاهلية ترتعون فيها فلا ينصركم اللّه، وانظروا ما تجيبون ربكم إذ يسألكم عما تركهم عليه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم من المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ولا يتنكبها إلا ضال.

يتبع بإذن اللّه تعالى.

الطاغوت

الجزء الرابع، صناعة الطواغيت

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد

فالطاغوت، ذلك المتأله على الله تعالى، يقدم فكره على هدي الله تبارك وتعالى، فيشرع التشريعات ويقنن القوانين، ويضعها مكان شرع الله، ويتبجح بأن شرع الله ما عاد صالحا لهذا الزمان وأن قوانينه هي التي تصلح لبني الإنسان، هذا الطاغوت جاوز الحد بل وصل إلى أقصى حد في التجاوز، فهو يقدم كلامه على كلام الله تعالى، ويزعم أنه شريك لله في صفاته، فالله يقول {إن الحكم إلا لله}، وهذا الطاغوت يرمي هذه الآية وراء ظهره، ولولا عدم إدراك المسلمين لحقيقة مفهوم الطاغوت، لما صنعوا أمثال هذا الطاغوت بأيديهم، فالطاغوت لم يترفع على البشر فقط بل تجاوز قدره ليزاحم الله -بزعمه- في حقه في تنظيم الكون، وتسيير حياة الناس وفق أهوائه.

وعلى البشر أن يتنبهوا لهذا الطاغوت وأن يزيلوه من طريقهم، فهو بشر يزعم أن له الحق في أن يشرع للناس شرائع ما أنزل الله بها من سلطان، فهو من جنسهم، يأكل الطعام وإن لم ينم يهلك، إلا أنه يقوم حجابا وحاجزا بين الخلق وبين الخالق حتى لا يعبدوه وحده، هذا هو تجاوز الحد الذي ليس بعده تجاوز.

وإلا فمن ذا الذي يرضى أن ينزل عن حكم الله إلى حكم القانون الفرنسي أو الانجليزي الذي ما شرعه إلا بشر مثلنا، بل إنهم من شدة بلههم وغبائهم دخلوا الدنيا وخرجوا منها ولما يدرك أحدهم معنى وجوده في الدنيا، ودانوا بعقائد باطلة فاسدة لا يقبلها العقل، لكن عقولهم المخبولة ارتضتها، فما للمسلمين يركنون إلى أمثال هؤلاء؟

إنه ولشدة خطورة هذا الطاغوت، وضع الله هذه الصورة التي لا تكاد تجد نظيرا لها لسوء عاقبة عدم الكفر به، {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها}، فشرط المقدرة على الاستمساك وهي مرحلة تتعدى مرحلتي الإمساك والتمسك، لقابلية المستمسك بأن يتفلت منه الحبل إن لم يحكم وثاقه إليه، فإن أحكمه استمسك به ولم ينفصم عنه، وهذا الحبل المتين من أفلته من يده هوى في قعر جهنم، وأي هلاك أشد وأخزى من أن يهلك المرء ويهوي في قعر جهنم إلى أبد الآبدين؟

فالمسألة متعلقة بالشرك بالله تعالى واتخاذ الأنداد معه، تلك المسألة التي لا تسامح فيها، {إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}.

وإنه لمن العجيب أن لا يتخذ المسلمون من مسألة التشريع الموقف المماثل لموقفهم من عبادة الأصنام، فهم ولا شك ينفر أحدهم من أن يسجد لصنم نفور الحمر المستنفرة، فرت من قسورة، ولكنهم لا يدركون أن مسألة التشريع وسن القوانين بحجم خطورة مسألة السجود للأصنام، وفي كليهما إرداء للمرء في قعر جهنم، لأنهما يصبان في اتخاذ الأرباب والأنداد مع الله.

سألني أحد المسلمين القاطنين في الغرب عن دليل على تحريم انتخاب نواب في البرلمان في تلك البلد الغربية، حيث سيسن النائب القوانين من ضمن ما يقوم به، فأجبته بأن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بين لعدي بن حاتم رضي اللّه عنه معنى قوله تعالى: {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون اللّه}، فقال عدي ظنا منه أن العبادة مقتصرة على الصلاة لهم والتسبيح بحمدهم: ما عبدناهم! فبين له عليه الصلاة والسلام معناها بقوله: ألم يحلوا لكم الحرام ويحرموا عليكم الحلال؟ قال بلى، قال، فتلك عبادتكم إياهم.

فأنت بانتخابك لمجلس النواب من يشرعون الأحكام من دون اللّه تعالى، إنما ترشح آلهة تعبد من دون اللّه، أفترى أفظع من ذنبك إلا ذنبهم؟

نعم لو وعى المسلمون الذين يندفعون وراء انتخاب نواب لمجلس تشريعي عملهم الأساس تشريع قوانين يعتدون بتشريعهم إياها على حق اللّه تعالى وحده في التشريع، بأنهم بذا يرشحونهم ليكونوا أربابا من دون اللّه يحلون الحرام ويحرمون الحلال، لما أقدم مسلم على ترشيح غيره أو الترشح بنفسه لمثل هذه المجالس.

ليست علاقتنا بمحمد صلى اللّه عليه وسلم أنه مفلج الثنايا، محمر الخدين، ينام على جنبه الأيمن، مشيه الهرولة كأنما يهبط من علٍ، بل علاقتنا به أنه رسول أرسله اللّه برسالة ألزمنا الحق سبحانه بتطبيقها والتزامها في كل خلجة من خلجات صدورنا وفي كل عمل من أعمالنا وفي واقعنا، في أعمال هي في نظر بعضنا أحقر من الذر، إلى أعمال الدولة الكبرى مثل تسيير جيوش دولة الخلافة لاستعادة الأندلس ووضع استراتيجية فتح روما لتوحيد العالم أجمع في دولة تحكم بشرع اللّه.

ثم تأمل كيف وصف الله تعالى الاحتكام إلى هذه القوانين الوضعية من دون قانون الله تعالى لتدرك أهمية وخطورة العمل على تغييرها، يقول الحق سبحانه وليس بعد قوله قول:

{إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٥٩) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا (٦٣) وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (٦٤) فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا(٦٥)} النساء.

كل حرف في هذه الآيات الكريمات ينطق ببيان محكم غير مشتبه، بأن من لم يتحاكم إلى الكتاب والسنة، ومن لم يرجع في كل صغيرة وكبيرة في ما يشجر بينه وبين نفسه أو بينه وبين غيره، إلى الكتاب والسنة فإيمانه مجرد زعم، فإن تنازعتم في شيء مهما كان، فردوه إلى الله ورسوله إن كنتم

تؤمنـون، وإن الله تعـالى نعـى علـى أولئـك الـذين يهمـون، ويريـدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، فجعل مجرد الهم، وتحديث النفس بأن تتحـاكم إلـى الطاغوت علامة على أن الايمان مجرد زعم، فكيـف بمـن تجـاوز مرحلـة الهـم إلى دائرة التنفيذ، وكيـف بالقاضـي الـذي يحكـم بنـاء علـى هـذه التشـريعات ويترك شرع الله، بل يحكـم فـي قضـايا حملـة الـدعوة يحاسـبهم علـى أنهـم يريدون التحاكم إلى شرع الله، أنـى لـه أن يجـد رائحـة الإيمـان، والله تعـالى يقسم بأجل وأعظم قسم، بعزته وجلالـه، بصـفة الربوبيـة، الربوبيـة مضـافة إلى خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم، فلا وربك يا محمد، لا يؤمنون، فاء الاستئناف التي تدفع العربي إذ يسـمعها إلـى إلقـاء سـمعه لأهميـة مـا يـأتي وراءها، متبوعة بلا النافية، فلا، فالأمر خطير إذن، ثـم واو القسـم بعـد النفـي المسبوق بفاء الاستئناف، ثم القسم لا بظـاهرة مـن ظـواهر الكـون كالعصـر والليل والنجم إذا هوى، لأن الأمر الذي يقسـم عليـه رب العـزة مـن الخطـورة بحيث يستدعي أن يقسم بربوبيته لمحمد، ثم بعد هذا القسم العظيم يـأتي بلا النافية مرة ثانية، فلا وربك لا، إذن فلا بـد أن الأمـر جلـل يحتـاج المسـلم معه أن يعرف ما هو هذا الأمر الخطير الذي يقسم عليه ربنا سبحانه، ومـا هـو هذا الأمر الذي استدعى نفيين تخللهمـا قسـم بربوبيـة الله؟ إنـه نفـي صـفة الإيمان.

فلا وربك لا يؤمنون، ومن لا يؤمن فلا شـك أنـه أفلـت مـن يـده العـروة الوثقى التي لا انفصام لها ليهـوي فـي قعـر جهـنم إلـى أبـد الآبـدين، إلا إذا تحقق إيمانه بأن يحتكم إلى شرع الله، ولا يكتفي الرب سـبحانه بـأن يحـتكم المرء إلى شرعه، بل لا بد مع احتكامه هذا إلى أن لا يجد فـي نفسـه أي حـرج

من حكم اللّه هذا، ومع هذين الشرطين لا يتحقق الإيمان أيضا، إلا بإضافة شرط ثالث لهما وهو أن يسلم تسليما بحكم اللّه.

إذن فلا شك أن الاحتكام إلى شرع اللّه بهذه الدرجة من الخطورة، فكيف يا ربنا وشرعك محارب وممنوع كأنه نوع من المخدرات في بلاد المسلمين وبين ظهراني المسلمين؟

لا شك أن العمل على إعادة الاحتكام إلى شرع اللّه قضية القضايا، وأن كل ما سواها يهون، إذ ما فائدة البلاد إن حررت ولم تحكم بشرع اللّه، وما نفع أن يحيا المسلمون في رخاء، وشرع اللّه معطل؟ وكيف بهم وهم يحيون في شدة الضنك وشرعهم معطل!!

إن من يصور قضية المسلمين المصيرية وسبب انحطاطهم الفقر والمرض والأمية لهو جاهل أحمق أرعن، فإن علة العلل وآفة الآفات أن يعطل شرع اللّه ويحارب، وإن السبيل إلى نجاة المسلمين من أن يقعوا في الهلكة بأن يتجاوزوا مرحلة الهم التي وصف اللّه سبحانه في محكم آياته من تعلق بها ليتحاكم إلى الطاغوت بأن إيمانه مجرد زعم، أقول يتجاوزوا الهم إلى دائرة التنفيذ، ومع الوقت يصبح طبيعيا لديهم أن يحكموا على أفعالهم من خلال موافقتها أو مخالفتها للقوانين الوضعية، متناسين قوانين رب العالمين، غير آبهين بها، فيخسروا الدنيا والآخرة والعياذ باللّه تعالى.

إن مسؤولية استنقاذ المسلمين من الوقوع في شرك الطاغوت المشرع خطيرة وجسيمة وهي ملقاة على عاتق كل مسلم، وكل من بلغته هذه العظة، فلا بد له من أن يشمر عن ساعديه ليعمل بجد مع العاملين المخلصين لتحرير الأمة من الاحتكام إلى الطاغوت الذي بارز اللّه العداء واعتدى على خاصية من خواصه سبحانه وهي خاصية التشريع.

لقد وصف اللّه من يرجع القهقرى لدى سماعه هـذه العظـة بأنـه منـافق، {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَـافِقِينَ يَصُـدُّونَ عَنكَ صُدُودًا}، فمن أعرض عن أي عمل يوصله إلـى الاحتكـام إلـى شـرع اللّه، وصد العاملين عليه صدودا فهو منافق، من لم يدرك أنه في ورطة كبيـرة إذ يحوطه الطاغوت من كل جوانبه، فيعمل بجد على استنقاذ نفسه وأهلـه مـن النار بالعمل على خلع هـذا الطـاغوت مـن جـذوره فهـو غافـل ينبغـي تنبيهـه وينبغي له أن يدرك أن الإعـراض عـن هـذا بـنص القـرآن يـردي فـي النفـاق، ويجعل الإيمان مجرد زعم.

وهؤلاء المتشرعون الذين دأبهم {إن أردنـا إلا إحسـانا وتوفيقـا} توفيـق بين الاسلام والرأسمالية، توفيـق بـين الاسـلام والديمقراطيـة، توفيـق بـين الاسـلام وغيـره، ودائمـا نـرى أنـه علـى الاسـلام لـديهم أن يقـدم التنـازلات، للالتقاء في منطقة الوسـط بـين الاسـلام والكفـر، ألا فليكفـوا عـن ديـن اللّه أذاهم أو لنحكمن عليهم بما حكم اللّه في أمثالهم بأنهم منافقون.

ثم هؤلاء النفر من المسلمين الذين يصـنعون الطواغيـت بأنفسـهم، ألا يقفون مع أنفسهم وقفة ترضـي اللّه ورسـوله؟ أولـيس حكـامكم مـن البشـر مثلكم؟ فما لبعضكم أيها المسلمون يؤلفون القصائد في مدحهم، والتسبيح بحمدهم، ويطلقون البخور في مواكبهم، فمنـذ القـدم، إنمـا صـنع الطـاغوت قصائد الشعر، ورجال الإعلام، الذين يقلبـون الحـق بـاطلا، والباطـل حقـا فـي نظرهم ونظر المنبهرين بخطابهم.

وهؤلاء النفر من العلماء الـذين مـا نفعهـم اللّه بعلمهـم، جعلـوا القـرآن الكريم قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا، {وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَـابَ الَّـذِي جَـاء بِـهِ مُوسَـى نُـورًا

وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ} (٩١) الانعام ، ألا فلينتهوا عن غيهم وضلالتهم ولا يكتموا الحق الذي بينه اللّه للناس فإنّا إن لم يفعلوا ويبينوا لاعنوهم استجابة لأمر اللّه تعالى:

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَـئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (١٦٠) البقرة.

والحمد للّه رب العالمين

الطاغوت

الجزء الخامس . أمة الشهادة

يقول رب العزة سبحانه:

{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} (٣٦) النحل

وظيفتان للأمة بينهما رب العالمين : عبادة اللّه والنأي بعدا عن الطاغوت، ولئن كان لنا أن نعرف الطاغوت فما علينا إلا أن نتلو قول اللّه سبحانه:

{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢)} هود، فكل أمر يبعد بك عن الاستقامة فهو دخول في الطاغوت، جاء سفيان بن عبد اللّه الثقفي يوما فقال: يا رسول اللّه: حدثني بأمر أعتصم به، قال صلى اللّه عليه وآله وسلم: (قل آمنت باللّه، ثم استقم) رواه مسلم

أما عبادة اللّه فالامتثال لما أمر والانتهاء عما نهى، والاستقامة على أمره.

أما الطاغوت فقد جاء في القرآن الكريم على معان:

منها منظومة الكفر التي تقف على طرف النقيض مع الايمان: {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن باللّه فقد استمسك بالعروة الوثقى} البقرة (٢٥٦)

هذه الطاغوت يقف وراءها كل من يصد عن سبيل الله لهدف واحد: إخراج العباد من عبادة الله إلى عبادة العباد {اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}(٢٥٧) البقرة.

والشكل الأفظع من عبادة العباد لا يتمثل غالبا بالركوع والسجود لبني الانسان ولكن بالخضوع للقوانين التي يسنها المشرعون بديلا للقانون الرباني الذي أنزله الله ليخرج العباد من الظلمات إلى النور:

جاء في البداية والنهاية لابن كثير الجزء السابع: قالوا: ثم بعث إليه سعد رسولاً آخر بطلبه، وهو ربعي بن عامر، فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة، والزرابي الحرير، وأظهر اليواقيت، واللآلئ الثمينة والزينة العظيمة، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربعي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه. فقالوا له: ضع سلاحك.

فقال: إني لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتموني فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت.

فقال رستم: ائذنوا له فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها.

فقالوا له: ما جاء بكم؟

فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه

إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود اللّه.

قالوا: وما موعود اللّه؟

قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي.

فهكذا فهم الصحابة رسالة الاسلام: إخراجا من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور القوانين التي يضعها البشر والتي لا تحقق العدل بين الرعية إلى عدل الاسلام إذا ما طبق على الناس، وتطبيق الاسلام هو الضامن بإخراج الناس من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، فمن قبل ذلك قبلنا منه وإلا قاتلناه حتى يخضع لسلطان الاسلام أو تنفرد سالفتنا دون ذلك.

على أن الطاغوت ورد في القرآن الكريم علامة على الاحتكام إليه بديلا عن شرع اللّه:

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً (٦١)}النساء

فالأمة الاسلامية إذن مطالبة بالكفر بالطاغوت نظام حياة والاستقامة على أمر اللّه كي تتحقق فيها هداية اللّه فلا تضل، وعلى حسن أداء هذه الأمانة سيقفها اللّه بين يديه ليسألها:

{وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩)} النحل

فإذا التزمت الأمة بأمر ربها استحقت المكانة العظيمة التي أعدها اللّه لها:

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً} ١٤٣ البقرة

فعلى ماذا ستشهد الأمة؟ وكيف تبلغ الأمة المنزلة العظيمة بأن تكون أمة الوسط: العدالة والخيرية؟

يقول رب العالمين سبحانه:

{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} ١١٠ آل عمران.

فخيرية الأمة تتحقق بتحقيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والايمان باللّه، ولقد قدم اللّه في هذه الآية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الايمان باللّه، كما أن سائر الأمم التي خلت ممن خلت فيهم رسل اللّه كانت رسلهم تأمرهم بأن يأمروا بالمعروف وينهو عن المنكر ويؤمنوا باللّه، فكيف جعل اللّه هذه الأمة خير الأمم؟

لا شك أن الربط المحكم بين شهادة الأمة على الأمم بالمنهج الرباني الذي أمر اللّه أن يقوم الناس كل الناس عليه، الذي يضمن بتطبيقه إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، بحمله إليهم بالدعوة، فإن أبوا فيقاتلوا عليه حتى يدخلوا في الدين أو يدخلوا في سلطان الاسلام فيطبق عليهم الاسلام جبرا عنهم أو برضاهم، لإحقاق العدل في الأرض، هذا الأمر الذي تفردت به هذه الأمة عن سائر الأمم جعلها خير الأمم، وجعل لها الشهادة على الأمم جميعا، وكل رسول إنما بعث في قومه إلا محمدا ابن عبد اللّه صلى اللّه عليه وسلم فقد بعث للناس كافة بشيرا ونذيرا.

فمن دخل في هذا الأمر تحقق فيه قول رب العالمين سبحانه:

{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} (٣٦) النحل

فمدار شهادة الأمة على الأمم هو تطبيق شرع اللّه على البشرية كافة لتجنيبها عبادة الطاغوت، لإخراجها من جور الأديان والشرائع والنظم والقوانين الوضعية أو المحرفة إلى عدل الاسلام، فمن اتبع واستقام على أمر اللّه كما أمر اللّه فقد رشد ومن زاغ ضل وحقت عليه الضلالة فاستحق العذاب.

وبعد:

فلئن كانت هذه وظيفة الأمة تجاه الأمم الأخرى، فما بال هذه الأمة الكريمة تثاقلت عن أن تحرر نفسها من عبادة العباد ، فرضيت بالاحتكام إلى القوانين الوضعية، وسكتت على ضنك العيش الذي تحياه

واللّه تعالى وعد وأوعد، وعد وقال:

{وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً} (١٦) الجن

وأوعد فقال: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (١٢٤) طه

على أن هذه الأمة موقوفة بين يدي ربها ليسألها عن هذه الأمانة وسيشهد رسولكم صلى اللّه عليه وسلم عليكم فماذا أعددتم لجوابه؟

خاتمة ..

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾

مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾

آمين

اللهم صل وسلم وبارك على خير خلقك نبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه وسلم صلاة أهل السموات والأرضين عليه وأجر يا رب لطفك الخفي في أمورنا بفضل رحمتك وكرمك ولطفك يا كريم.

اللهم إني أسألك بك يا رب العالمين، أسألك باسمك الأعظم الذي إن سئلت به أجبت، وإن استغفرت به غفرت، وإن استرحمت به رحمت، وإن استشفيت به شفيت، يا مجيب دعوة الداعين:

أسألك يا رب بك يا أيها الذي ليسَ إلَّاهُ ربٌ يُدعى، سألتك يا مالك حوائج السائلين الذي يُعطِي إذا سُئل، ولا يزداد على كثرة السؤال إلا جودا وكرما، وعلى كثرة الإلحاح إلا تفضلا وإحسانًا، يأتيه الـمُـثقَلُ بالهموم شاكيا، فيفرج كرباته، والغارق في الذنوب مستغفرا، فيغفر زلاته، والمستيئس من النجاة، فيمد له يد نجاته، إذا أساءت العباد حَلِمَ وأمْهَلَ، وإن أحسنوا تفضلَ وقَبِلَ وإن عصوا ستر، وإن أذنبوا عفا وغفر، وإذا دعوه أجاب، فكان أقرب إليهم من حبل وريدهم، وأرحم بهم من والدهم على وليدهم، وإذا نادوه سمعهم، وإذا أقبلوا عليه أسرع إليهم، من تقرب إليه بشبر قربه ذراعا، ومن أتاه يمشي أسرع إليه هرولة، وإذا ولَّوا عنهُ تكرم وتفضل ودعاهم، ولم يوصد بابه أمامهم، شديد العقاب، وهو الغفور الرحيم، لكل مُسترحمٍ لديه رحمة، ولكل راغبٍ إليه زُلفى، تتابعت نعمه وآلاؤه، حتى اطمأنت الأنفس بتتابعها، وتظاهرت المنن منه حتى اعترف أولياؤه بالتقصير عن حقه، أسبغ نعمه عليهم ظاهرة وباطنة، سألتك بمن تظاهرت العِبَرُ حتى نطقت الصوامتُ بحجته، ودل كل ما كُتب على صفحة نجوم السماء، وحبات رمل أديم الأرض على عظيم قدرته، وأظهر من الآيات حتى أفصحت السماوات والأرضون بأدلته، وقهر بعظيم قدرته حتى خضع كل شيء لعزته وعنت الوجوه لعظمته .

سألتك يا اللّه بك أن تنزل علينا شآبيب رحمتك، وأن تتقبل أعمالنا وان تجعلها خالصة لوجهك، وان تستر علينا في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك لنا وللمسلمين أجمعين من خير ما سألك الحبيب المصطفى صلى اللّه عليه وآله وسلم وعبادك الصالحون، وأعوذ بك لهم ولنا من شر ما استعاذ بك منه الحبيب المصطفى صلى اللّه عليه وآله وسلم وعبادك الصالحون

أسألك الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد خير خلقك، وعلى آله وصحبه وسلم صلاة أهل السموات والأرضين عليه وأجر يا رب لطفك الخفي في أمورنا وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين

الحمد للّه على نعمائه، ونسأله تعالى أن يكون أجرى الحق على ألسنتنا وبأيدينا، وأن يكون عصمنا من الزلل، وأن يتجاوز عنا برحمته، وفضله، وكرمه، فإنا واللّه لذاته العلية محبون، على ما فينا من التقصير، والشرود عن الجادة، والانغماس في الدنيا، ومع أن هذا كله يدل على تقصير من جانب المحب، إلا أننا نسأله تعالى أن لا يكون حبنا له ادعاء،

أنا مذنب أنا مخطىء أنا عاصي ... هو غافر هو راحم هو عافي
قابلتهن ثلاثة بثلاثة ... وستغلبن أوصافه أوصافي

حدثنا المزني قال: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه، فقلت: يا أبا عبدالله، كيف أصبحت؟ فرفع رأسه، وقال: أصبحت من الدنيا راحلا، ولاخواني مفارقا، ولسوء عملي ملاقيا، وعلى الله واردا، ما أدري روحي تصير إلى جنة فأهنيها، أو إلى نار فأعزيها، ثم بكى، وأنشأ يقول[١]:

إليك إله الخلق أرفع رغبتي ... وإن كنتُ -يا ذا المنِّ والجود- مجرماً
ولَّما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جَعَلْتُ الرَّجَا مِنِّي لِعَفْوكَ سُلّمَا
تعاظمني ذنبي فلَّما قرنته ... بعفوكَ ربي كانَ عفوكَ أعظما

[١] روى المزني بعض هذه الأبيات، وألحقت بها باقي القصيدة من مراجع أخرى.

فَمَا زِلْتَ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ ... تَجُودُ وَتَعْفُو مِنَّةً وَتَكَرُّمَا
فلولاكَ لم يصمد لإبليسَ عابدٌ ... فكيفَ وقد أغوى صَفيَّكَ آدما
فإن تعفُ عني تعفُ عن متمردٍ ... ظَلُومٍ غَشُومٍ لا يزايلُ مأثما
وإن تنتقمْ مني فلستُ بآيسٍ ... ولو أدخلوا نفسي بجُرْمٍ جهنَّما
فَلِلَّهِ درُّ الْعَارفِ النَّدبِ إنَّهُ ... تفيض لِفَرْطِ الْوَجْدِ أجفانُهُ دَمَا
يُقِيمُ إذَا مَا الليلُ مَدَّ ظَلاَمَهُ ... على نفسهِ من شدَّة الخوفِ مأتما
فَصِيحاً إذَا مَا كَانَ فِي ذِكْرِ رَبِّهِ ... وَفِي مَا سِواهُ فِي الْوَرَى كَانَ أَعْجَمَا
ويذكرُ أياماً مضت من شبابهِ ... وَمَا كَانَ فِيهَا بِالْجَهَالَةِ أَجْرَمَا
فَصَارَ قَرينَ الهَمِّ طُولَ نَهَارِهِ ... أخا السُّهدِ والنَّجوى إذا الليلُ أظلما
يَقُولُ حَبِيبي أَنْتَ سُؤْلِي وَبُغْيَتِي ... كفى بكَ للراجينَ سؤلاً ومغنما
ألستَ الذِّي غذيتني وهديتني ... وَلاَ زِلْتَ مَنَّاناً عَلَيَّ وَمُنْعِمَا
عَسَى مَنْ لَهُ الإحْسَانُ يَغْفِرُ زَلَّتِي ... ويسترُ أوزاري وما قد تقدما
حَواليَّ فضلُ اللَّه من كل جانب ... ونورٌ من الرحمن يفترش السَّمَا
وفي القلب إشراقُ المحبِّ بوصلِهِ ... إذا قارب البشرى وجاز إلى الحمى
حواليَّ إيناسٌ من اللَّه وحده ... يطالعني في ظلمة القبر أنجما
أصونُ ودادي أن يدنسه الهوى ... وأحفظ عهد الحبِّ أن يتثلما
ففي يقظتي شوقٌ وفي غفوتي مُنًى ... تلاحق خطوي نشوة وترنُّما
ومن يعتصم باللَّه يسلم من الورى ... ومن يَرْجُه هيهات أن يتندَّما

كذلك ونسأله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، صائبة، خالية من حب الشهرة، وحب الذكر، وأن لا يكون نصيبنا منها إلا الخير في الدنيا والآخرة، وأن يغفر بفضله لسادتنا العلماء، ولمن أخذنا عنهم هذا الدين العظيم، وأن لا يجعل في صدورنا غلا للذين آمنوا، فإنا واللّه نحب

المسلمين، ونحب لهم الخير، ونحب لهم أن يجتمعوا على ما جمع اللّه عليه قلوب من لو أنفق رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ما في الأرض جميعا، ما ألف بين قلوبهم، ولكن اللّه ألف بينهم، فاللهم ألف بين قلوب المسلمين واجمعهم على محبتك وطاعتك وحسن الإيمان بك، وحَسَنِ العمل الخالص لوجهك الكريم.

وبعد، فهذا ما اجتهدنا فيه في هذه المسألة ، وهو جهد المقل، وللمسلم على المسلم حق النصح، فمن أراد مخاطبتي وأداء واجب النصح لي على زلة غير مقصودة، أو رأي مرجوح، أو استفسار عن شيء من ذلك، فعليه مكاتبتي على بريدي الالكتروني:

imammalek@hotmail.com